

خطاب صاحب الجلالة

في نهاية أشغال مؤتمر القمة العربي السابع

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أصحاب الجلالة

أصحاب الفخامة

أصحاب السمو

أصحاب السعادة

حضرات السادة

يقول الله في كتابه الحكيم «لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم» صدق الله العظيم.

فحمداً لله أن ألف بين القلوب، وحمداً لله أن وحد الصفوف، وحمداً لله أن لم يشمت فينا الأعداء. إنني أثناء انعقاد اجتماعات وزراء الخارجية سمعت كثيراً من المحللين والمتنبئين ينفرون ويهرجون، ويتنبأون بالفشل لهذا المؤتمر، مدعين أن العالم العربي والقادة العرب ليسوا قادرين على أن يبقوا متحدين أكثر من مدة وجيزة، ولكن الله سبحانه وتعالى خيب ظنهم وآمالهم، وذلك بأن هيأ للنجاح أسبابه، وسهل بين أيادينا أساليبه. فجعل القلوب يصل بعضها إلى بعض والأفكار تتفتح يوماً بعد يوم.

وإذا كانت قضية فلسطين هي أكبر ربح ربحه هذا المؤتمر فإني أشهد أمام الملأ وأمام الجميع أن رواد هذا النجاح وأصحابه هم الوفد الأردني والوفد الفلسطيني وعلى رأسيهما جلالة الملك حسين والأخ ياسر عرفات.

ماذا كان بين الأردنيين والفلسطينيين ؟

بعد التحليل والتنقيب والتفكير وجدت شخصياً هوة كبيرة مملوءة بسوء المفاهيم، ومليئة بكونهم استعملوا وسائط منذ سنين تاركين ظهرياً الحوار المباشر، وأنا شاهد مثلكم أنهم بمجرد ما التقوا صاروا يدخلون في المشاكل الحقيقية. لا مشاكل الأمس، بل مشاكل الغد التي تبتدىء من اليوم، ترفعوا عن كل شيء وارتفعوا فوق كل الأشياء حتى تمكنوا من أن يعيدوا النظر، فأصبحوا يحللون تعايشهم عندما يصبحون جيراناً أصحاب كيان، أصبحوا يحللون ماذا ستكون العلاقة بين الدولتين، أصبحوا يسطرون ويخططون للأشقاء المتعاونين في السراء والضراء، الأشقاء الذين يمدون اليد لإخوانهم الأشقاء الذين عليهم أن يبنوا لنا هناك حضارة مثلما بناها أجدادهم حتى يمكن لتلك الحضارة أن تصبح منهلا جديداً غزيراً للأجيال المقبلة، وما هذا على الشعب الأردني والشعب الفلسطيني بعزيز ولا بصعب.

ومن ثم، أصحاب الجلالة والفخامة، رأيتم كيف سهل لدينا كل عمل وكيف حللنا جميع المشاكل وكيف كانت هذه اللبنة المباركة البيضاء الغراء منطلقاً في مستوى إمكاناتنا ومستوى طموحنا وتضحياتنا المقبلة، لأن هناك تضحيات وتضحيات تنتظرنا، فعلينا أن نخطط لها وعلينا أن نرسم لها الطريق، تضحيات من جميع الأنواع، وعلى رأسها التضحية بالأنانية. وعندما يُصبح في إمكاننا أن يتكلم كل منا باسم أي أحد منا، إذ ذاك سيصبح

التضامن العربي تضامناً جباراً قاهراً لا يقدر أحد على فكه أو كسره.

إنني جد متأثر من الكلمات الرقيقة الخالصة التي فاه بها كل من جلالة الملك فيصل، والرئيس النميري، والرئيس حافظ الأسد، والرئيس محمد أنور السادات، وأخي ياسر عرفات... ولكن في الحقيقة إذا كانت هناك حكمة، فحكمتكم هي التي كانت تنعكس على مكتب الإدارة.. وإذا كانت هناك رصانة، فمن رصانتكم كانت الإدارة تستلهم رصانتها، وإذا كان هناك توفيق، فمن الله سبحانه وتعالى كل توفيق.

وإن شعبي لفخور بأن يحتضن للمرة الثالثة مؤتمراً للقمة العربي، وأن يرى بين ظهرانيه ممثلين لشعب يكبو كجميع الشعوب ولكن لا تطول كبوته، لشعب عربي له سيف ينبو ولكن لا تطول نبوته، لشعب آتاه الله من الحيوية ومن الثقة بنفسه ومن المقومات والمكونات ما يجعله دائماً وأبداً شعباً يتعجب منه أصدقاؤه ويخشاه أعداؤه.

أما تضحيات جنودنا على جبهة القتال في الجولان وفي سيناء فلم تكن إلا صورة للمد والجزر التاريخي. فهنا على هذه الأرض استشهد رجال جاؤوا من الشام ومن مصر ليحاربوا الوثنية ولينشروا كلمة الله وسنة الرسول، فكان هناك مد وأصبح اليوم جزراً، والتاريخ هكذا كله مد وجزر، جعل الله دائماً مدنا وجزرنا خيراً ونفعاً وبركات.

وقبل الختام أرجو الله سبحانه وتعالى أن نكون عند أمره لنا حينما قال : «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم».

وأحسن دعاء في الختام هو آية قرآنية سأحول ضمير مفردها إلى ضمير جمع حتى تنطبق علينا جميعاً : «رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث، فاطر السماوات والأرض، أنت وليي في الدنيا والآخرة، توفني مسلماً وألحقني بالصالحين».

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بالرباط

الثلاثاء 13 شوال 1394 — 29 أكتوبر 1974